# المرأة المسلمة ومكانتها في فنّ الحكايات الملايوية

## حكايات فطاني أنموذجا

أ.د. داتو محمد يعقوب ذو الكفل(*)

### مقدمة

للمرأة مكانةٌ قياديَّة في تواريخ الشُّعوب المختلفة، وكذلك إشاراتٌ إلى نماذج نِسَويَّة في مختلف الدِّيانات والمعتقدات. وقد بلغت بعض تلك النَّماذج النِّسويَّة مكانةً عاليةً من الاعتبار، وتركن بصماتٍ منطبعةً على التَّاريخ البشريِّ في مجال قيادتهن، سواءٌ أكان دينيًّا أم سياسيًّا أم اجتماعيًّا. ولعلَّ أشهر مثالٍ لذلك مريم العذراء (أمُّ المسيح)، أو مريم بنت عمران –كما يسمِّيها الإسلام. وفي الحضارة الفرعونيَّة القديمة بحوض النِّيل في النوبة ومصر، نجد نماذج من النِّساء الملكات الشَّهيرات مثل: نفريتيتي (Nefrititi, c.1370-1313 BC)، وفي المنطقة نفسها نجد نموذج ملكة سبأ (Queen Sheba)، التي يُعتقد أنَّها تسمى بلقيس. أيضًا في أوربا، نجد سلالة ملكاتٍ كثيرة، لعلَّ أشهرها ملكات العرش البريطانيِّ.

أمَّا في مجتمعات الشَّرق، فإنَّنا نجد نماذج كثيرةً أيضًا، مثل الملكة وو هو في الصِّين في عهد سلالة ملوك تانْغ (Wu Zetian Huo, 690-705, Tang Dynasty 1234-1234)، وفي اليابان كذلك نجد الإمبراطورة جينْمي (Genmei, 707-715)، في عصر نارا ( Nara Dynasty 704-794 C.E). وأمَّا في السِّياق الإسلامي، فإنَّ نماذج نساء كثيراتٍ قد ظهرْنَ في فتراتٍ مختلفة من التَّاريخ الإسلاميِّ، وفي مجتمعاتٍ مختلفة من الشُّعوب المسلمة، ففي

* – عميد أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا – ماليزيا .

النِّد مثلاً، نجد نماذج ملكات بيغومْ في مملكة بوبالْ (Begums in Bhopal)، وقد حكمن في السلطنة الإسلاميَّة بالهند في القرن التَّاسع عشر الميلاديِّ، وشهدت المصادر التَّاريخيَّة بنجاح هذه التَّجربة من الحكم النِّسوي في دولة كانت تعدُّ ثانية أكبر دولة في الهند في تلك الفترة.[١]

في السِّياق نفسه، فإنَّ عالَم الملايو (Tanah Melayu)، في جنوب شرق آسيا، قد شهِدَ ملكاتٍ عدَّة، وزعيماتٍ في ظلِّ سلطنات الملايو الإسلاميَّة، وأشهر تلك الملكات الزَّعيمات: الملكات في سلالة ملوك سلطنة فطاني (شمال ماليزيا، وجنوب تايلاند الحاليَّة)، وملكات سلطنة آتشيه (أندونيسيا) في القرون الوسطى، فيما بين (١٥٨٤-١٧١١م)، وقد تميَّزت سلالة الملكات في ظلِّ هاتَين السَّلطنَتين في عالم الملايو بطول العهد والاستقرار، والقوَّة وتوسُّع نفوذ السلطنة، وازدهار التِّجارة البحريَّة بالأخصِّ. وفي كلانتان، وجامبي (Jambi)، وسولورْ (Solor)، وغيرهن. فإنَّ منطقة "عالَم الملايو"، قد توفَّرت بها نماذج قياديَّة ناجحة من المسلمات، وغير ذلك من نماذج النِّساء في المجتمع الملايوي من الزَّعيمات السِّياسيَّات والاجتماعيَّات النَّاجحات، والتَّاجرات الثَّريات، والعالمات الحاذقات، والقائدات العسكريَّات الباسلات،[٢] ولا تزال تلك النَّماذج التَّاريخيَّة مصدر استلهامٍ للأفراد والجماعات من النِّساء في العصر الرَّاهن، في ماليزيا، وإندونيسيا، وسنغافورة، وسائر دُوَل المنطقة حيث يوجد الملايو.[٣] وحتى بعد هذه الفترة من حكم النِّساء في قمَّة الهرم القياديِّ السِّياسيِّ بأرخبيل الملايو، فإنَّ أفرادًا من النِّساء -حتَّى الآن- لا زلن يَتقلَّدْنَ مراكز قياديَّة سياسيَّة عاليةً في المجتمعات الملايويَّة.[٤]

من هذا المنطلق، فإنَّ الورقة الحاليَّة أتتْ من أجل تسليط الضَّوء على طائفةٍ من تلك النَّماذج من النِّساء الزَّعيمات في مجتمع ملايو في جنوب شرق آسيا، وبعض ما قُمْن به من إنجازاتٍ حضاريَّةٍ في ظلِّ الممالك الإسلاميَّة التي كُنَّ هنَّ زعيماتٍ بها، وهنا ركَّزت الدِّراسة الحاليَّة -بالأخصِّ- على سلطَنَتَيْ: فطاني وآتْشيه دارَيْ السَّلام.. ماذا تحقَّقت من إنجازاتٍ حضاريَّة على أيدي السُّلطانات في هاتين السُّلطنَتَين؟ وقد تمَّ استقراءُ هذا الأمر من خلال

بعض ما تيسَّر التَّوصُّل إليه من مصادر أوَّليَّة من كُتُب تواريخ وحوليَّاتٍ يُطلق عليها في السِّياق الملايويِّ بـ"حكايات"، وبالأخصِّ كتاب "حكايات فطاني" التي تؤرِّخ لهذه المملكة في عهدها الذَّهبي.

## دراسات سابقة

إنَّ دراسة ظاهرة وجود ملكاتٍ في التَّاريخ السِّياسيِّ والقياديِّ في المجتمعات المسلمة، خاصَّة في العصر الوسيط، قد نالت اهتمام باحثين كُثُر؛ لأنَّ لهذه الظَّاهرة علاقةً مباشرةً بفهم قضيَّة المرأة في الإسلام، وما يمكن أن يُفهَم من بعض النُّصوص الدِّينيَّة الإسلاميَّة من موقفٍ سلبيٍّ حول قيادة المرأة في المراكز السِّياسيَّة العليا بالدَّولة، ومنها الحديث "المشهور" الذي ورد فيه: "ما أفْلَح قومٌ ولَّوْا أمرَهُم امْرأة".

من الدِّراسات التي عُنيتْ بهذا الموضوع دراسة فاطمة مرنيسي (١٩٩٧م)، وفي عنوان كتابها دلالةٌ عميقةٌ في استجلاء الهدف من هذه الدِّراسة، وهو لفت الانتباه إلى "ملكات الإسلام المَنسيَّات"، وفي هذه الدِّراسة تستعرض مرنيسي سيرة (١٥) من الملكات الأكثر نجاحًا في التَّاريخ القيادي في الإسلام، بما في ذلك السُّلطانات الأربع في آتشيه دار السَّلام.[٥] ولا شكَّ أنَّ في لفت النَّظر إلى تلك النِّسوة "المنسيَّات" أهميَّةً كبيرةً في إعادة التَّاريخ الإسلاميِّ إلى مساره الصَّحيح. وقد تميَّز هذا الكتاب بمناقشة جادَّة ونقد دقيقٍ لوضع المرأة السِّياسيِّ في المجتمعات المسلمة، وفي الكشف عن التَّألُّق الحضاري الإسلاميِّ المتحقَّق على أيدي النِّساء المَلِكات.

كتاب آخر شبيه بما سبق، وهو للباحثة ميلينا (2014م)، وتستعرض أيضًا سيَر عدَّة ملكاتٍ مسلمات في ظلِّ سلطناتٍ إسلاميَّة في العالم، منهن: شجرة الدر، وصفيَّة الدين بادشاهْ حاتون، والسلطان ساتي بايْ خانْ، والسلطان خديجة، والسلطان مريم، والسلطان فاطمة، وغيرهنَّ من النِّساء القائدات، والملاحظ هنا تركُّزها في دول آسيا الشَّرقيَّة.[٦] ويتميَّز بالاختصار، واستعراض السِّيَر الذَّاتية للملكات.

ثمَّة دراسات عُنِيت بدراسة الملكات تحت مملكة إسلاميَّة محدَّدة. من ذلك دراسة شير خان (2017)، وترصد –كما هو في عنوانها– عهد السُّلطانات بآتشيه، لكنَّها أعطت نصيب الأسد للسُّلطانة صفية الدِّين، فتحدَّثت عن ظروف توليها الحكم، وبدايات حكمها، ومرحلة الرُّشد القيادي، ثم عن علاقات السُّلطنة بالممالك التَّابعة لها، وعن الحالة الإسلاميَّة في ظلِّ حكم السُّلطانات، وأخيرا عن نهاية حكمهنَّ، وهي دراسةٌ تكشف عن جوانب التَّألق الحضاريِّ التي تحقَّقت في عهد أولئك السُّلطانات.[٧]

وقبل تلك الدِّراسات الحديثة حول المرأة القائدة في المجتمعات المسلمة، أو بأرخبيل ملايو، فإنَّ مجموعةً من الكتب القديمة قد رصدت سِيَر الملكات في المجتمع الملايويِّ، وتُعرف بكُتُب "الحكايات" (Malay Hikayat).

## المبحث الأول: الحكايات الملايويَّة بوصفها مدوَّناتٍ تاريخيَّة

لقد اقترض شعب الملايو مصطلح "حكايات" العربي؛ للإشارة إلى النُّصوص التَّاريخيَّة القديمة لمجتمع ملايو، وهذا المصطلح بذلك قد تطوَّر معناه العربي إلى معنًى جديدٍ، يدلُّ على سرد الأحداث التَّاريخيَّة التي وقعت حقًّا، وإنْ كان بعض مشاهدها القليلة خياليَّة؛ لكنَّ شخصيَّاتها، وأماكنها، ووقائعها صحيحةٌ ثابتةٌ تاريخيًّا إلى أبْعَد الحدود. هذا ما يُعرف بفنِّ الحكايات الملايويَّة.

في هذا المجال، توجد نماذج حكايات كثيرة في الأدب الملايويِّ، هي نصوصٌ أدبيَّة وتاريخيَّة بامتياز في الوقت نفسه، منها على سبيل المثال:

١. كتاب "حكايات فطاني" (Hikayat Patani).
٢. كتاب "حكايات آتشيه" (Hikayat Aceh)
٣. كتاب "حكايات أمير حمزة" (Hikayat Amir Hamzah)
٤. وكتاب "حكايات راجا باساي" (Hikayat Raja Pasai)
٥. وحكايات عبد الله، للكاتب منشي عبد الله، وكُتِبت فيما بين ١٨٤٠–١٨٤٣م. وهي سيرة ذاتيَّة، ولكن ممزوجة بتاريخ سنغافورة في القرن التَّاسع عشَر الميلادي.

٦. ومنها "حكايات رابعة العدويَّة" الصوفيَّة، وهي حكايةٌ مأخوذة من الأصل العربيِّ أو الفارسيِّ للشَّخصيَّة التَّاريخيَّة رابعة العدويَّة، ولكنْ في سياقٍ ثقافيٍّ ملايويٍّ، وإضافات محليَّة كثيرة.[٨]

هذا، وتوجد علاقةٌ كبيرةٌ بين فنِّ "الحكايات" الملايويَّة، وبين الأدب العربيِّ، وقد كشفت دراساتٌ كثيرةٌ عن علاقات التَّناصِّ بين بعض تلك السَّرديَّات الملايويَّة، وبين نماذج عربية قديمة (مثل ألف ليلة وليلة)، وحديثة، مثل "حكايات فريدة هانومْ، ١٩٢٥"، وبين رواية "زينب" لمحمد هيكل (١٩١٤م).[٩]

أمَّا عن المضمون التَّاريخي لكتب الحكايات الملايويَّة، وعلاقتها بإبراز مكانة المرأة، فإنَّ هذه الحكايات تعطينا نماذج كثيرةً من الأميرات المتعلِّمات، صاحبات الفكر والنُّبوغ في الشِّعر أو غيره. من ذلك الأميرة الشَّاعرة عالمة الفلَك في "حكايات بيانْ بوديمانْ" (H. Bayan Budiman)، والبطلة في "حكايات بوترا جايا باتي" (H. Putra Jaya Pati)، وفي "حكايات إسْما يتيمْ" (H. Isma Yatim) إشارة إلى أميرة عالمة وأنَّها كانت تحوز نسخةً من كتاب "حكايات أنديرا بوتْرا" (H. Inderaputra). وفي كتاب "شعر سلطان يحيى" (Syair Sultan Yahya) تصويرٌ للبطلة سيتي جَوْهَر مانيكامْ، وهي حاذقة في العلوم الإسلاميَّة، حافظة للقرآن، متقنةٌ للتِّلاوة.[١٠]

**أ- حكايات فطاني**

تعد حكايات فطاني أقدَم وأهمَّ مدوَّنة تاريخيَّة عن سلطنة فطاني، كان تأليفه في فترة أواخر القرن السَّابع عشَر الميلادي باللُّغة الملايويَّة الجاويَّة، وقام الباحثان (Teeuw & Wyatt) بترجمته إلى الإنجليزيَّة (١٨٣٩م). وهي مقسَّمة إلى ستة أقسام تبدأ بنشأة المملكة، وتطوُّرها، وسيَر ملوكها، وتنتهي بسقوطها.

تمدُّنا حكايات فطاني بالكثير من المعلومات عن مختلف أبعاد المجتمع الملايويِّ وثقافته في فترة القرنَين السَّابع عشَر والسَّابع عشر الميلادي، ففيها معلوماتٌ تاريخيَّة، واجتماعيَّة، وسياسيَّة، ودينيَّة، ومعرفيَّة كثيرة، يمكن أن يجدها الباحثون في هذا الكتاب من جوانب شتَّى.

يقول الباحث (بَمْبا، ٢٠٠٩م)، مترجم الكتاب إلى العربيَّة، عن أهميَّته الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة: "إنَّ حكايات فطاني وأمثالها، يُؤمل منها أن تسهم في إنماء الوعي التَّاريخي، وزرع الثِّقة في الجيل المعاصر، والاعتزاز بماضيه المجيد الذي تألَّق فيه الأجداد، ونجحوا –بتوفيق الله– في جميع مناشط الحياة: الاجتماعيَّة، والسِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، وكان للمرأة المسلمة (الملكات خاصَّة) إسهامٌ منقطعُ النَّظير في الحضارة الإسلاميَّة الملايويَّة".[١١]

تجدر الإشارة إلى أنَّ قوَّة هذا النَّص وأصالته يكمُنُ في كونه نصًّا شعبيًّا، ليس له منتجٌ محدَّد معروفٌ. وقد رأى الباحث برانْدلي (Brandley, 2009, 270) أنَّ حكايات فطاني، هي مثل سائر الحكايات الملايويَّة، هي من وضع البلاط "تواريخ البلاط"، وأنَّ لها نماذج في كلِّ مملكة ملايويَّة، مثل: حكايات باسايْ وآتشيهْ، وحكايات قِدَح شمالي ماليزيا، وبانْجرماسينْ (Banjarmasin Borneo)، في جزيرة بورنيُو.[١٢]

**ب – حكايات آتشيهْ**

ظهرت في مجتمع آتشيهْ تواريخ مشابهة لـ"حكايات فطاني" وغيرها من الحوليَّات البلاطيَّة في عالم الملايو، منها:

١. كتاب سيجارا آتشيه (Sejarah Acheh Darusalam)، أي كتاب تاريخ آتشيه. وكتِب في حدود النِّصف الأخير من القرن السَّابع عشر الميلادي.
٢. والثُّلاثيَّة السَّلاطينيَّة، وهي ثلاثة كُتب عن سلاطين آتشيه، هي: "تاج السَّلاطين"، و"بستان السلاطين" و"سلالة السَّلاطين" كُتبت في أواخر القرن السَّابع عشر الميلادي أيضًا.
٣. وكتُب الحكايات (التَّواريخ والحوليَّات)، مثل: "حكايات آتشيه" و"عادات آتشيه".
٤. وكتب القوانين والأنظمة المحليَّة في آتشيه، مثل: "Qanun meukota Alam" وكتاب "Qanun al-Asji Darussalam"،

أمَّا كتاب "سلالة السلاطين"، ويُعرف هذا الكتاب أيضًا بـ(Sejarah melayu)، و( Malay Annals)، والتَّسمية الأولى للباحث ليدنْ (Leyden, 1821)، والأخرى لعبد الله (١٨٤١)،

فإنَّه يسرد –إلى جانب التَّواريخ– سلسلة نسب ملوك آتشيهْ، ويرفعها إلى الملك الإسكندر الأكبر. وباعتبار ما ذهب إليه الباحث شامْبرتْ (٢٠٠٥م)، فإنَّ "سلالة السَّلاطين" يُعدُّ بإجماع الباحثين، أهمَّ مصدرٍ تاريخيٍّ في الأدب الملايويِّ، وقد تناوله الباحثون على امتداد قرنَين، وطُبع هذا النَّص وأجريت حوله دراسات كثيرة، وصفها شامبرتْ بأنَّها "لا تُحصى".[١٣]

**المبحث الثاني: حكايات فطاني والملكات الأربع**

حكايات فطاني تؤرِّخ لسلطنة فطاني دار السَّلام، وهي إحدى الممالك الملايويَّة التي ظهرت في القرون الوسطى. تأسَّست (عام ١٥١٦م)، على أنقاض مملكةٍ هندوسيَّة قديمة تُدعى لانْغكاسوكا (Langkasuka). كانت مملكة فطاني تشمل المناطق الجنوبيَّة لمملكة تايلاند الحاليَّة، وشماليَّ ماليزيا، ولا زالت تحمل هذا الاسم في جنوبي تايلاند. أصبحت سلطنة فطاني إسلاميَّةً في حدود أواسط القرن السَّادس عشَر الميلادي، وقويَتْ فطاني حتى أصبحت أعظم مملكةٍ في بلاد الملايو.[١٤] سقطت فطاني (نوفمبر ١٧٨٦م) في غارةٍ عارمة من قبل مملكة سيامْ.[١٥]وقد كانت الملكات اللاَّتي حَكَمْن فطاني فيما بين (١٥٨٤–١٦٨٨م)، ضمن ملوك هذه المملكة. وهنَّ أربع ملكاتٍ بلقب "راجا" أي: ملكة. الثَّلاث الأوليات هنَّ بنات السُّلطان إسماعيل شاهْ الملقَّب بـ"ظل الله في العالَم"، والأخيرة هي حفيدتها ابنة الملكة الأولى، كما في الجدول أدناه.

| م | الملكة | فترة الحكم | عدد السَّنوات |
|---|---|---|---|
| ١ | راجا إجاوْ (Raja Ijau) | ١٥٨٤–١٦١٦م | ٣٢ |
| ٢ | راجا بيرو (Raja Biru) | ١٦١٦–١٦٢٤م | ٨ |
| ٣ | بادوكا شاه عَلَمْ راجا أونْغو (Ungu) | ١٦٢٤–١٦٣٥م | ١١ |
| ٤ | راجا كونِنْغ (Raja Kuning) | ١٦٣٥–١٦٤٩م | ١٤ |

**جدول١: ملكات فطاني، من إعداد الباحث.**

يلاحظ على الجدول أنَّ راجا إجاوْ أطوَل الأربع مكثا في الحكم؛ إذْ تبلغ نسبة مكثها حوالي (٤٩%) من المجموع الكليِّ لفترة حكم الملكات في فطاني، وهو (٦٥عامًا).[١٦]

## الملكة راجا إجاوْ

الملكة راجا إجاوْ، هي البنت الأولى للسُّلطان إسماعيل شاهْ الملك المسلم الأوَّل بسلطنة فطاني. جاء عهد الملكة راجا إجاوْ في فترة حرجةٍ من تاريخ فطاني، وهي الفترة التي شهدت تنافُس الأمراء على السُّلطة وتقاتُلهم، وتهديد مملكة سيامي القويَّة لسيادة فطاني، ومحاولتها ضمَّ فطاني إلى مملكة سيامي. جاءت الملكة راجا أونْغو بعد مقتل السلطان الأخوَين: سلطان مظفَّر شاهْ، وباتيكْ سيامْ (Patik Siam)، على يد أخوَيهما: راجا بَمْبانْغ (Raja Bambang). وفي تلك الحالة، بعد قتل الإخوة بعضهم بعضًا، خلتْ سلطنة فطاني من وارث ذكر، ودخلتْ في فترة جدُّ حرجةٍ كادت أن تعصف بالسَّلطنة، وأنْ تدخل تحت التَّبعيَّة المطلقة لجارتها مملكة سيامْ بالشَّمال. غير أنَّ الملكة الشَّابة راجا إجاوْ، سرعان ما استحكمتْ قبضتها في شأن المملكة، وأعادت ترتيب الجيوش، واسترجَعَت قوَّة السلطنة ومَنْعتها. وقد ساعد بقاؤها الطَّويل في الحكم نسبيًّا في ترتيب السَّلطنة من الدَّاخل، وتنظيم أمورها، حيث طال عهدها (٣٢) عامًا.

تقول الحكايات:

> "حينئذٍ، تجمَّع الوزراء والقواد في الديوان الملكي للتَّشاور في اختيار خلَف من أبناء المرحوم بونْغسو (السُّلطان إسماعيل شاه)، وبالطبع لم يكن يوجد أحدٌ من أبناء المرحوم بونغسو الذُّكور. وهكذا تم اختيار ابنته الوحيدة راجا إجاوْ، فكانت الملكة الأولى هنا في سلطنة فطاني... وأطلق عليها لقب بَراخاوْ".[١٧]

أمَّا عن حالة مملكة فطاني في عهد الملكة راجا إجاوْ، فقد قارن الباحث أنثوني رايد (Anthony Reid)، بين الملكة راجا إجاوْ، وبين معاصِرَتها الملكة إليزابيت الأولى؛ فوجد أوجهًا عدَّة من التَّشابه:[١٨]

١) كلتاهما جاءت إلى العرش في فترة حرجةٍ من تاريخ المملكة.

٢) كانت المملكة في فترة مجيئهما تحت تحديدٍ خارجيٍّ طاغ (إنجلترا تحت التَّهديد الإسباني ١٥٨٨م، وفطاني تحت التَّهديد ومحاولة الاجتياح من لدُن مملكة سيامْ ١٦٠٣).

٣) اتِّصاف كلٍّ منهما بالحكمة في تدبير شؤون المملكة، ومواجهة حركات التَّمردُّ، والحفاظ على وحدة المملكة.

٤) تحقيق رفاهةٍ اقتصاديَّة، وتألُّق علميٍّ وثقافي في تحت حكمهما، وتركهما لذكرى تاريخيَّة طيِّبة بعدهما.

كذلك، نجد في شهادات كثيرٍ من الرَّحالة والتُّجار الأوربيِّون الذين زاروا فطاني في عهد الملكة إجاوْ، التَّأكيد في وصف المملكة آنذاك بالقوَّة والازدهار والأبَّهة التي كانت عليها الملكة، فقد كانت جنود العرضة الملكيَّة تتألَّف من أكثر من (٤.٠٠٠) فارس، وفيَلة مزيَّنة بأنواع الأقمشة المزركشة والذَّهب.

١- اتِّباع سياسة السِّلم والتَّهدئة: نجحت فطاني منذ عهد الملكة الأولى راجا إجاوْ، في الحفاظ على وحدة الشَّعب، وعلى سياسة التَّهدئة مع الخصوم. على سبيل المثال، كان الاختبار السِّياسيُّ الذي تعرَّضت له الملكة راجا أونْغو بعد تولِّيها الحكم، حركة التَّمرُّد التي قادها رئيس الجيش، بنْدهارا كايو كيلاتْ (Bendahara Kayu Kelat)، على رأس خمس آلاف مقاتل، وقد كانت الملكة حكيمةً، فلم تعارض التَّمرُّد بالقوَّة وإنَّما تركت بندهارا يدخل إلى العاصمة فطاني، ويسير إلى القصر، فتزيَّنت له الملكة، وخرجت للقائها بمُفردها مع جماعةٍ من النِّساء، وألقت إليه بخمارها، في وجه هذه المفاجأة، لم يكن من القائد الثَّائر، إلاَّ النُّزول، وإلقاء تحيَّة إجلال للملكة، وإلغاء محاولة الانقلاب.

تقول حكايات فطاني:

"وبسرعة ارتدت الملكةُ سترةً خضراء، ووضعت خمارًا أصفر بأطراف مُزركشة ونقوش ورديَّة، مخروزة بالذَّهب، ثم تقدَّمت نحو الدِّيوان... وكان الوزير الأول قد دخل في ذلك الوقت الدَّارة الملكيَّة، وهو متَّجهٌ نحو

**الدِّيوان، وحين بلغ واجهة الدَّرج، أمسكت الملكة بخمارها، وألقت به نحو الوزير؛ فتلقَّفه بسرعة، وربطه على رأسه، وبعد أن عصب رأسه بالخمار، نزع خنجره من جنبه، ووضعه على الأرض، وحيَّى الملكة تحيَّة إجلالٍ ثلاث مرَّاتٍ متواليَّة".**[١٩]

**٢- ازدهار تجاري اقتصادي: تميَّزت فطاني بكونها مملكةً تجاريَّة بامتيازٍ. كانت تعتمد كليًّا على تجارة التَّوابل والصِّناعات اليدويَّة، وصيد البحر، وكانت الملكة نفسها تدخل في مفاوضاتٍ تجاريَّة مع الأوربيِّين، وتشجِّعهم على المجيء إلى فطاني والتَّعامل مع أهلها. كما اتَّخذت الإجراءات والسِّياسات التي أدَّت إلى إنعاش التِّجارة، وتسهيل الأمور للتُّجار وحماية السُّفن التِّجاريَّة. يقول فانْ نيك (Van Neck): "إنَّ جميع البضائع رخيصة هناك (في فطاني)، وهي بنصف قيمتها كما كانت في عهد الملك السَّابق؛ بسبب الضَّرائب الباهظة التي كانت مفروضةً على البضائع في السَّابق".**[٢٠]

**تقول الحكايات عن الملكة الأخيرة راجا كوننغْ:**

**"وهذه الملكة لم تعشْ من عائدات المملكة، وإنَّما على ما كانت تدرُّ عليها بساتينها. كانت تأكل وتلبس من عائدات الزُّهور والخضروات، وكان لها تاجرٌ خصوصيٌّ يُقال له ناخودا سانْدانْغْ، وكان النَّاس ينادونه بتاجر الملكة. كانت تلك الملكةُ في غاية الثَّراء؛ لأنَّ ممتلكات المرحوم كي سيامْ، والمرحوم بونْغسو تجمَّعت من جيل لآخر بين يدي هذه الملكة".**[٢١]

**بالإضافة إلى الازدهار الاقتصادي، فإنَّ مملكة فطاني قد شهدتْ أمنًا داخليًّا منقطع النَّظير، وشهدت كذلك رضا شعبيًّا مثاليًّا عن نظام الحكم. تقول الحكايات:**

**" كان جميع الناس في فطاني سُعداء يعيشون في أمن، ولم يكن المسافرون العائدون من رحلةٍ بحريَّة، يقومون بحراسة سفنهم في الميناء حينما ترسو السُّفن في مرفأ فطاني، ولو كانت**

تلك السُّفن محمَّلةً بالذَّهب والفضَّة، فلم يكن أحد يتعرَّضُ لها بسرقة... كان جميع أهالي فطاني سُعداء وراضين".[٢٢]

٣- تألُّقٌ ثقافي فكري: شهدت فترة حكم الملكة راجا أونْغو أيضًا تألُّقًا ثقافيًّا وعلميًّا بفطاني؛ حيث غدتْ سلطنة فطاني في عهدها مركزًا علميًّا شهيرًا في جنوب شرق آسيا، يقصدها العلماء وطلبة العلم، واشتهرت بها بلدة "بسايْ" القريبة من العاصمة فطاني. كما انتعشت بها مظاهر الثَّقافة الملايويَّة من موسيقى، وأعمال يدويَّة، ونسيج. وغناء.

تقول الحكايات: "**حين كانت المرحومة بَهانْغ (راجا أونغو) ملكةً، كانت لها فرقةٌ غنائيَّة أوبرا مكوَّنة من أربعة رجال**".[٢٣]

وقد أفاضت الحكايات في سرد التَّقاليد الملكيَّة في العزف في المهرجانات وفي الحروب وغيرها من المناسبات، وأشارتْ إلى مجموعةٍ من رجالات العلم والمعرفة في ظلِّ هذه المملكة.

٤- علاقات سياسيَّة جيِّدة: حافظت فطاني في ظلِّ الملكات على علاقاتٍ طيِّبةٍ مع سائر ممالك الملايو، وقد كانت فطاني آنذاك سيِّدة الممالك، فكانت علاقاتها بجاراتها علاقةً ممتازة. كانت بينها وبين سلطنة آتْشيه علاقات طيِّبة. وتطوَّرت علاقاتها مع بعض الممالك الملايويَّة إلى المصاهرة، فقد كانت أخت الملكة (وهي راجا أونْغو)، متزوِّجة بملك بهانْغْ، وزوَّجت الملكة ابنتها راجا بسلطان جوهورْ.[٢٤] ولا أدلَّ على أهميَّة هذه العلاقات من أنَّ حملة الإمبراطور السِّيامي (١٦٣٢م)، على فطاني، قد صادفت وجود أمير سلطنة جوهور في فطاني مع (٣.٠٠٠) من جنوده، بمناسبة زواجه بالأميرة راجا كونِنْغ، وقد ألحق الجيشان: الجيش الفطاني وجيش جوهور، هزيمةً نكراء بجيش سيامْ.[٢٥]

٥- استقلال سياسي: بناءً على الإنجازات التِّجاريَّة التي حقَّقتها فطاني، فإنَّها قد بلغت مكانةً من القوة العسكريَّة خوَّلتها استقلالاً سياسيًّا عن مملكة سيامْ الكبرى. ففي عهد الملكة راجا بيرو، تذكر "الحكايات" أنَّ من إنجازاتها الحضاريَّة، شقُّ قناة من البحر

للوصول داخل مدينة فطاني، وقد حقَّق حفر هذه القناة مكاسب تجاريَّة كبيرة، وأضافت على فطاني مكانةً تجاريَّة جديدة.

وقد كانت الملكة راجا بيرو، أكثر حزمًا وشدَّةً من سابقتها، فمما قامت به في حسم العلاقة بين سلطنة فطاني ومملكة سيامْ، كما يذكر الرَّحالة النمساوي كريستوف كارل (Christoph Carl, 1625)، أنَّها بادرت بحملة على مملكة سيامْ، حتى بدون إعلان، وبدون مشاورة وزرائها، فأرسلت جيشًا قوامُه (٣.٠٠٠) مقاتل، لكنْ لم تحدُث حربٌ؛ إذ بادرت مملكة سيامْ إلى الانسحاب، والاعتراف بعدم أحقيَّتها لمملكة فطاني، وبذلك استعادت فطاني حريَّتها واستقلالها التَّام، بعد أن كانت تدفع جزيةً سنويَّة لمملكة سيامْ، تُعرف بـ(Bunga Emas)، أي: الطَّوق الذَّهبي.

وحتى قبل ذلك، فإنَّ الإمبراطور السِّياميَّ حين باغت سلطنة فطاني بحملةٍ عسكريَّة (١٦٠٣م)، فإنَّ الملكة راجا إجاوْ وقفت له بالمرصاد، وألحق به وبعسكره هزيمةً نكراء. وبعد هذه الحملة، قرَّرت الملكة راجا إجاوْ التَّخلي عن اللَّقب السِّيامي الذي كان رمز تبعيَّة مملكة فطاني لمملكة سيامْ. بعد ذلك بحوالي ثلاثة عقود (١٦٣٣م)، تحدَّثنا "الحكايات" عن حملةٍ أخرى للجيش السِّياميِّ بقيادة أوكْبايا ديشا فطاني بجيش قوامُه مائة ألف مقاتل. وكانت مدينة فطاني مُسوَّرة. تقول الحكايات:

"وحين أتى السِّياميُّون للهجوم من موضع الفجوة من الأسوار، وجاءت مجموعةٌ منهم تخوض الخندق المائيَّ ناحية كيلامْبانْغ، حينها أطلق عليهم أهالي فطاني النِّيران، وقُتل منهم عددٌ لا يُحصى، ول يُفلحوا أبدًا في اختراق الفجوة، على الرُّغم من استحثاث قوَّادهم لهم؛ فانسحبوا إلى السُّهول".[٢٦] (ص٧٨).

بالإجمال، فإنَّ نجاح الملكات في فطاني يبرز في تألُّق هذه المملكة في فترةٍ تاريخيَّة حرجة، مملوءة بالتَّهديد الخارجي من جهاتٍ كثيرة: من الشَّركات والقوى الأوربيَّة، ومن مملكة سيامْ، وقد زاد الطِّين بلَّة بضعف الكثير من الممالك الملايويَّة الجارة، مثل: مملكة قدَحْ وبرليسْ التي دخلت في تبعيَّة مملكة سيامْ، وبدأت تدفع جزية سنويَّة لملك سيامْ،

وتخلَّت عن منطقة ساتونْ لصالح سيامْ، وكذلك تخلى سلطان قدحْ عن جزيرة بينانْغْ لشركة الهند البريطانيَّة (١٨٧٥م)، فقد كانت فطاني محاطةً بكلِّ هذه التَّحديَّات؛ لكنَّ عهد الملكات كان عهدًا ناجحًا قويتْ فيه السلطنة وازدهرت.[٢٧]

## المبحث الثَّالث: نبذة تاريخيَّة عن سلطنة آتْشيهْ دار السَّلام والسُّلطانات الأربع

تأسَّست سلطنة آتشيهْ (١٤٩٦-١٩٠٤م) في القرن الخامس عشر الميلادي، وامتدَّتْ حتى القرن العشرين، موقعها الآن وسط أندونيسيا في المقاطعة التي لا زالت تحمل هذا الاسم. كانت عاصمتها كوتاراجا (Kutaraja)، وهي الآن تدعى "بنْدر آتشيهْ". كانت مملكة آتشيه مملكة تجاريَّة نشطة في تجارة التَّوابل وسائر البضائع بآسيا. قويت مملكة آتشيهْ، ودخلت في منافسةٍ شديدةٍ ومعارك مع القوى الاستعماريَّة البرتغاليَّة والإنجليزيَّة والهولنديَّة من أجل السَّيطرة على طُرق الملاحة في مضيق ملاقا. إلى جانب ذلك، انتعشت العلوم الإسلاميَّة في ظلِّ مملكة آتشيهْ، وظهر فيها علماء أفذاذ، ومراكز علميَّة كثيرة.[٢٨]

حكَمَ بآتشيه سلالاتٌ ملَكيَّة عدَّة، وكانت السُّلطانات الأربع الأخوات ضمن أولئك، والملكة تاجُ العلَم، الملكة الأولى في آتشيه، هي الرَّابعة عشَر في سلسلة ملوك آتشيهْ. ويُعدُّ كتاب "حكايات آتْشيه" (Hikayat Ache)، أهمَّ مصدرٍ تاريخيٍّ محليٍّ، أرَّخ لهذه المملكة، مثل غيرها من الممالك الملايويَّة في المنطقة.

### السُّلطانة تاج العلَم

هي تاج العَلَمْ (Paduka Seri Sultan Taju'l 'Alam Safiatu'd-Din Shah, 1641-1675)، بنت السلطان إسكندر مودا (١٦٣٦-١٦٤١م)، الملكة الأولى في آتشيه.[٢٩]

وصلت السُّلطانة تاجُ العلَم إلى الحكم بعد وفاة والدها في تاريخٍ طويلٍ من التَّناحر بين الأمراء في آتْشيه، أدَّى إلى أنَّ الملك إسكندر مودا، يوم توفي، لم يكن ثَمَّ وارثٌ ذكرٌ مرشَّح للحكم سوى بناته، وهكذا آل الحكم إلى تاج العلَم؛ لتشهد آتشيهْ عهدًا جديدًا من حكم

السُّلطانات الذي طال حتى آخر القرن (١٦٩٩م)، أي (٥٨عاما). تتابعت فيه أربع أخواتٍ شقيقاتٍ. كما في الجدول الآتي:

| م | الملكة | فترة الحكم | عدد السَّنوات |
|---|---|---|---|
| ١ | صفية الدين تاج العالَم شاهْ | ١٦٤١-١٦٧٥م | ٣٥ |
| ٢ | نقيَّة الدين نور العالَم شاهْ | ١٦٧٥-١٦٧٨ | ٣ |
| ٣ | زَكيَّة الدين عناية شاهْ | ١٦٧٨-١٦٨٨م | ١٠ |
| ٤ | زينة الدِّين كمالة شاهْ | ١٦٨٨-١٦٩٩م | ١١ |

جدول٢: السلطانات الشَّقيقات الأربع بآتشيهْ، من إعداد الباحث.

يلاحظ هنا أنَّ الملكة الأولى هي أطولهنَّ مكثًا في الحكم، وهذا أمرٌ بديهيٌّ؛ حيث إنَّها تقلَّدت الحكم وهي شابَّة، ولما طال عهدها في الحكم، فإنَّ شقيقاتها قد كبِرنَ في السِّن حين وصلْنَ إلى سدَّة الحكم. ومجموع عدد السِّنين التي قضَينها في الحكم (=٥٩عاما). يظهر في أسمائهنَّ التَّأثير الإسلاميُّ الواضح.

إنَّ ما سبق من ملاحظة، يدلُّ على أنَّ فترة حكم السُّلطانات بآتشيهْ كانت في سياقٍ تاريخيٍّ كان الإسلام قد ترسَّخ فيه في هذه المنطقة من حوالي أربعة قرون، فقد زار ابن بطوطة المنطقة (١٣٤٥م)، وسرد الكثير من المظاهر الإسلاميَّة في هذه المنطقة في جاوة تحديدًا.

أمَّا عن السُّلطانة تاج العَلَم تحديدًا، فقد وصفها صاحب كتاب "بستان السَّلاطين" بقوله:

"في عهدها، كان النَّاس راضين عن حكمها، كانت الدُّنيا وكأنَّ النَّبات والأزهار قد سُقيَت بالمطر بعد جفاف. أثمرت الشَّجر، وأزهرت الورود، وانتشر عبقُها في الأرض.. في عهدها، كانت جميع أنواع السُّفن والقواربن من جميع أرجاء البلاد تملأ الميناء، كان الميناء مزْدَحما من موسمٍ لموسم، وكانت التِّجارات رائجةً في ميناء دار السَّلام (آتشيه)، والأطعمة رخيصة جدًّا، كان الجميع يشعر بالأمان ويطيعون أوامر السُّلطانة".[٣٠] (من ترجمة الباحث).

كذلك، وصف الرَّحالة البولندي دامْبيرْ (Dampier)، في أواخر القرن السَّادس عشر الميلادي، البلاط بسلطنة آتشيهْ، فذكر أنَّ وزراء السُّلطانة هم اثنا عشر من كبار الشَّخصيَّات يُطلَق عليهم "شَهْبَنْدر" (shahbandar)، و"أورانْغْ كايا" (orang kaya)، وأنَّ نظام الحكم في سلطنة آتشيهْ يتميَّز بالحصافة. كذلك وصف الرَّحالة سلطنة آتشيه بـ"جمهوريَّة" وأنَّها أشبه ببولندا في التَّقدُّم.[٣١]

هذا، وقد انتهى حكم السُّلطانات، والعصر الذَّهبي لآتشيهْ في آخر القرن السَّابع عشَر، بفتوى صادرة من شريف مكَّة يحرِّم فيها حكم المرأة (١٦٩٩م). وكما أشارت إليه الباحثة فاطمة المرنيسي، فإنَّ قراءةً شاملةً للوضع السياسيِّ والاجتماعيِّ بسلطنة آتشيه، تؤكِّد أنَّ هذه الفتوى ما كانت إلاَّ ورقةً بيد أصحاب المنفعة في إزاحة السُّلطة من أيدي السُّلطانات، من منافسيهنَّ في التِّجارة والحكم. كانت الفتوى مجرَّد سندٍ دينيٍّ حاول السِّياسيُّون في آتشيه انتزاعها من المركز الدِّيني في الحرمين الشَّريفَين، من أجل كسب الموقف السِّياسي داخليًّا في آتشيه.[٣٢]

وقد أشارت الباحثة مرجانة إلى أنَّ بعض الباحثين قد قلَّلوا من شأن السُّلطانات بآتشيه، وذكروا أنَّهن كنَّ مجرَّد واجهةٍ، وأنَّ الحكم كان بيد النُّبلاء "أورانْغْ كايا"، فوصفت هذا الرَّأي بأنَّه "رؤية تشاؤميَّة" (pessimistic view)، وأنَّ الحقيقة، أنَّ السُّلطانات قد حافظن على وحدة آتشيه، وعلى مكانتها السِّياسيَّة، وعلى استقلالها في فترةٍ حرجةٍ من تاريخ السُّلطنة، وأنَّهن قد نجحن في التَّعامل مع القوى الخارجيَّة: الإنجليز والهولنديِّين الذين كانوا يهدِّدون وجود سلطنة آتشيهْ وغيرها من الممالك في شرق آسيا.[٣٣]

أمَّا الباحثة جاكلينْ، فقد فسَّرت موقف بعض الباحثين السَّلبي من السُّلطانات وحكمهنَّ في آتشيهْ، بأنَّه صادرٌ عن موقف عُنصريٍّ متعالٍ معارض لتولي المرأة المهامَّ السِّياسيَّة العليا في الدَّولة، والمراكز القياديَّة في المجتمع. ومن أولئك المؤرِّخين الذين وصفتهم جاكلينْ بـ"مؤرِّخين ذكوريِّين" (masculinist historiography)، المؤرِّخ رايد أنثوني الذي وصف

حُكم السُّلطانات بآتشيهْ بمجرَّد حكمٍ صوريٍّ، وأنَّ الحكام الحقيقيِّين، كانوا الرِّجال الوزراء.[٣٤]

على كلِّ حال، فإنَّ المتفق عليه بين معظم الباحثين، أنَّ مملكة آتشيهْ كانت "أعظم مملكة ملايويَّة إسلاميَّة، خاصَّة في النِّصف الثَّاني من القرن السَّادس عشر والسَّابع عشر الميلادي" وأنَّها وقفت ضدَّ الأطماع التَّوسُّعيَّة لدى البرتغال، وهولندا وإنجلترا، حتى سقوطها بيد الهولنديِّين (١٨٧٣م).[٣٥]

**١- تنظيم إداري وعسكري قوي**

بلغت سلطنة آتشيه درجةً عاليةً –نسبيًّا– من التَّنظيم الإداريِّ والسِّياسيِّ، وتوسَّعت السلطنة كذلك جغرافيًّا وقويت عسكريًّا، وقامت بحملاتٍ عسكريَّة على القوات البرتغاليَّة من أجل استعادة مملكة ملاقا الملايويَّة التي وقعت تحت الاحتلال الهولنديِّ؛ لكنَّها لم تُفلح في ذلك. غير أنَّ تلك الحملات قد نجحت في إضعاف القوى الأوربيَّة في المنطقة، وفي تأمين الممالك الصَّغيرة التي كانت تحت التَّهديد الهولندي والإنجليزي.

أمَّا عن التَّنظيم الإداري، فقد قامت الملكة الأولى بتأسيس مراكز علميَّة إسلاميَّة واستقطاب جلَّة العلماء من الحرمَين إليها، ومن إنجازاتها في تقوية المرأة سياسيًّا، بناؤها مجلس شورى وتعيين أعضاء من النِّساء في هذا المجلس، أيضا تعيينها بعض النِّساء في وظائف في الملاحة التِّجاريَّة عبر التِّجارة على المحيط الهنديِّ، وحتى بعض النِّساء كُن في الملاحة العسكريَّة، ولهنَّ رُتَبٌ عسكريَّة عالية، منهن: (Cut Nyak Dien, 1850-1908) و(Cut Meutia, d.1908)، و(Pocut Baren Biheue, d.1933)، وفي المجال العلمي، فإنَّ بعض النِّساء كنَّ معلِّمات وشيخات في المراكز العلميَّة، ولهنَّ مكانةٌ علميَّة معتبرة.[٣٦]

وقد أشادت الباحثة Khan بالمستوى العلميِّ والثَّقافي الذي بلغتْهُ سلطنة آتشيه تحت حكم السُّلطانات، فعدَّدت الكثير من الكتب الإسلاميَّة التي كانت إفرازًا مباشرًا لعناية السُّلطانات بالعلم والعلماء، ومن المؤلَّفات التَّاريخيَّة التي أرَّخت لسلطنة آتشيه في تلك الفترة:

- كتاب سيجارا آتشيه (Sejarah Acheh Darusalam)، أي كتاب تاريخ آتشيه. وكتِب في حدود النِّصف الاخير من القرن السَّابع عشر الميلادي.
- والثُّلاثيَّة السَّلاطينيَّة، وهي ثلاثة كُتب عن سلاطين آتشيه، هي: "تاج السَّلاطين"، و"بستان السلاطين" و"سلالة السَّلاطين" كُتبت في أواخر القرن السَّابع عشر الميلادي أيضًا.
- وكتُب الحكايات (التَّواريخ والحوليَّات)، مثل: "حكايات آتشيه" و"عادات آتشيه".
- وكتب القوانين والأنظمة المحليَّة في آتشيه، مثل: "Qanun meukota Alam" وكتاب "Qanun al-Asji Darussalam"، وبحسب ما ذهبت إليه الباحثة باربارا واتْسون، فإنَّ تأليف كتاب "حكايات آتشيه" كان بسبب تألُّق هذه السُّلطنة تحت الملكات الأربع.[٣٧]

أيضًا، تتُذكر في هذا السِّياق أعمالٌ معرفيَّة وفكريَّة وأدبيَّة كثيرة مضافة إلى بعض النِّساء الملكات أو الأميرات، أي أنَّهن قمْن بتشجيع العلماء على تأليفها، وقُمن كذلك بإمدادهم بالمال مكافأةً لهم على التَّأليف، من ذلك في القرن السَّابع عشر الملكة تاج الأعلام، أمرت الشَّيخ عبد الرَّؤوف سِنْكل السُّومطْري، بتأليف كتاب "معراج الطُلاب"، وكذلك أمرت الملكة عناية شاهْ الشَّيخ نفسه بوضع كتاب "رسالة أدب المريد أكَنْ شيخ" وكتاب "حديث الأربعين" وكتاب "بتبيان معرفة الأديان"، وكتاب "كفاية المحتاجين"، وكتاب "أخبار الآخرة في أحوال القيامة" (ص١٥٩)، وغيرها من المؤلَّفات الأصول في أرخبيل الملايو التي تمَّ تأليفها بإيعازٍ وتَمويل من الملكات والأميرات.[٣٨]

**٢- تسامح ديني ثقافي**

في ظلِّ السُّلطانات الأربع، شهدت سلطنة آتشيه انفراجًا موسَّعا في التَّسامح الدِّيني، واحترام الحريَّات الثَّقافيَّة والدِّينيَّة، ولم ينل هذا التَّسامُح من المكانة الإسلاميَّة للسَّلطنة بوصفها "مركز العلم الإسلاميِّ، وبطلة الإسلام بعالم الملايو" (Centre for Islamic Studies.. a Champion of Islam).

وقبل عهد السُّلطانات الأربع، فإنَّ المجتمع الآتشي قد شهد فترةً من الضَّغط الدِّيني، وحملة شرسةً على "المرتدين"، وهي حملةٌ قادها العالم الشَّيخ نور الدِّين الرانيري (N. al-Raniri) "شيخ الإسلام" بآتشيهْ، من أصل هندي في غوجاراتْ، في عهد السُّلان إسكندر الثاني (١٦٣٦–١٦٤١م)، وفي تلك الفترة حرِّقت الكتب الصُّوفية التي كانوا يحسبونها مخالفةً للمنهج الإسلاميِّ الصحيح، وأعدمَ بعض "المرتدِّين". لكنْ سرعان ما عادت سلطنة آتشيه إلى سابق عهدها في احترام الحريَّات، وحماية المعتقدات.[٣٩]

## خاتمة وتوصيات

لقد تمَّ في المباحث السَّابقة استعراض بعض جوانب التَّألُّق الحضاريِّ في مختلف المجالات في سلطَنَتَيْ: فطاني وآتشيه، دارَيْ السَّلام في عالم الملايو (Tanah Melayu)، وذلك في عهد الملكات أو السُّلطانات الأربع في كلٍّ من السُّلطنتَين. وقد تبيَّن أنَّ كلتا السّلطنتين قد بلغت شأوًا عاليًا من التَّقدُّم والازدهار في ظلِّ حُكم تلك النِّسوة؛ ممَّا يدلُّ على أن المرأة المسلمة لها مكانةٌ اجتماعيَّة وسياسيَّة وتاريخيَّة معتبرةٌ في المجتمعات المسلمة. إنَّ الإشكال يكمُنُ في عدم إعطائها الفُرُص والإمكانات والوسائل لتحقيق رسالتها الحضاريَّة. أيضًا، تمَّ استقراء المظاهر الحضاريَّة عبر المصادر الأوليَّة التي أرَّخت لكلتا السلطنتَين، وهي: حكايات فطاني وآتشيه. وهنا يمكن تسجيل بعض الملحوظات حول التَّشابهات والتَّماثُلات بين المملكتَين.

توجد عدَّة تشابهات وتماثلاتٍ بين المملكتَين وسلالة الملكات في كلٍّ من المملكتَين، وفيما يأتي بعض ذلك:

١. ظهرت مملكة فطاني قبل مملكة آتشيهْ بحوالي (٥٧) عامًا، وتزامنتا من عام (١٦٤١م)، وكانت الملكة الأولى بآتشيهْ تاج العَلَم معاصرةً للملكة الأخيرة في فطاني لمدَّة عشر سنوات. كان عهد السُّلطانات بآتشيهْ فيما بين (١٦٤١–١٦٩٩م)، وعهد الملكات في فطاني فيما بين (١٥٨٤–١٦٨٨م)

٢. كانت المملكتان إسلاميَّتين إلى حدٍّ كبيرٍ في زعمائهما، وفي إدارتهما، وتقاليدهما، وسياساتهما؛ لكن سلطنة آتشيهْ كانت أكثر إسلاميَّةً من فطاني، والسَّبب قِدَم الإسلام بآتشيهْ منذ في فطاني.

٣. وصلت الملكات في كلتا المملَكَتين إلى الحكم بعد فترةٍ داميةٍ من تناحُر الأمراء المتنافسين على السُّلطة، وفناء الرِّجال الوارثين حسب التَّقاليد المتَّبعة، وقد كان وصول أولئك النِّساء إلى الحكم فترةً جديدةً من الاستقرار الدَّاخلي، واستعادة المملكة سلامتها وعافيتها.

٤. اتَّخذت السُّلطانات في آتشيهْ اللَّقب الإسلاميَّ "سلطانة" وألقابًا إضافيَّة لها علاقةٌ قويَّة بالإسلام، بينما اتَّخذت الملكات في فطاني ألقابًا ملايويَّة بحتة. وهذا ما يدلُّ على عُمق التَّأثير الإسلاميِّ في آتشيه منه في فطاني. ويُستَثنى من ذلك الملكة الأخيرة. تقول "الحكايات" عنها: "أما راجا أونغو، فحين تُوِّجت ملكةً، تسمَّت بادوكا شاهْ علَمْ، ولم تسمحْ بأنْ تُدعى براخَاوْ (ملكة باللُّغة السِّياميَّة)".[٤٠]

٥. تساوى عدد الملكات في كلٍّ من المملَكَتَين، وهن أربع أخواتٍ في آتشيهْ. وفي فطاني: ثلاث أخوات مع ابنة أختهنَّ الكبرى في فطاني.

٦. تساوت كذلك فترة حكم الملكات في المملَكَتين تقريبًا، (٥٩ عاما) في فطاني، و(٥٧ عاما) في آتْشيه.

٧. كانت الملكة الأولى في كلٍّ من المملكتَين في قمَّة التَّألُّق والنَّجاح في تحقيق الوحدة الدَّاخليَّة للأسرة الملكيَّة وللشَّعب على السَّواء. وقد كان لشخصيَّتها القويَّة، واحترام الشَّعب لها الأثر في استمرار الملك، وطول عهده.

٨. ساعدت الأقدار في طول عهد الملكة الأولى نسبيًّا في كلٍّ من المملكتَين، في تثبيت دعائم المملكة، راجا إجاوْ (٣٢ عامًا)، وتاج العلَم (٣٥ عامًا).

٩. كان سقوط كلٍّ من المملكتين، والسُّلالَتين بسببٍ خارجيٍّ، وهو الغزو الاستعماريُّ. بمعنى آخر: أنَّ الشَّعب كان راضيًا لحدٍّ كبيرٍ عن حكم الملكات، وعن المملكة؛ مساندًا لها حتى الرَّمق الأخير.

١٠. بلغت المملكتان أوْجَهما العسكريَّ، والاقتصاديَّ، والعلميَّ في ظلِّ حكم الملكات، بعد أن كانت على حافَّة الانهيار والسُّقوط، وقد توارد في كثيرٍ من المصادر التَّاريخيَّة وصف معظم السَّلاطين الذُكور في فطاني وآتشيه (بالأخصِّ)، والممالك في المنطقة بأوصافٍ سلبيَّة كثيرة، من تجبُّر، وظُلم، وإرادة سيِّئة. بينما تميَّزت النِّساء بأوصافٍ إيجابيَّة كثيرة.[٤١]

بناءً على ما تقدَّم من نتائج، فإنَّ الورقة الحاليَّة توصي بالآتي:

- تشجيع ترجمة "الحكايات الملايويَّة" إلى العربيَّة حتى يكون القارئ العربيُّ على إلمامٍ بها.
- العمل على إعداد موسوعةٍ للنِّساء الرَّائدات عبر الشُّعوب المسلمة، وتكون هذه الموسوعة على شكل سلسلةٍ، مثل: النِّساء في آسيا، وفي شبه الجزيرة الهندية، وأفريقيا، والشَّرق الأوسط، وغيرها. وتشمل هذه السِّلسلة جميع المجالات الحضاريَّة.

## الهوامش :

[1] Wiesner, M. (2011). Gender in History: Global Perspectives. Chichester, West Sussex, U.K.: Wiley-Blackwell

[2] Kennedy, 2002, J. C. "Leadership in Malaysia: Traditional values, international outlook", Academy of Management Executive, Vol.16, No.3.

[3] Journal of the Malaysian Branch of the Royal Asiatic Society, 1993.

[4] Mandeson, Lenore. (1977). "The Shaping of hte Kaum Ibu (Women Section) of the United Malays national Organization", Signs, Vol.3, No.1, Autumn, 210-228.

[5] Mernissi, Fatima. (1997). The forgotten Queens of Islam.

[6] Milena, Rampoldi, Female Soverigns in Islamic States.

[7] Sher Banu A. L. Khan. (2017). Sovereign Women in a Muslim Kingdom: Teh Sultanah of Aceh, 1641-1699,.

[8] Hijjas, Mulaika. (2018). "The Trials of Rabi'a al-\Adawiyyah in hte Malay World", Bijdragen Tot de Taal, Brill, No. 174, 216-243.

[9] Bahjat m. and Basil Q. Muhammad. "The Significance of hte Arabic-Modelled Malay Novel "Hikayat Faridah Hanum", J. of Arabic Literature, Vo. 41, No.3, 2010, 245-261.

[10] Mulaika H. "Not just Fryers of Bananas", Op. Cit.

[١١] بمبا، آدم. (٢٠٠٩م). حكايات فطاني: حكاية ملايوية شعبية عن تاريخ سلطنة فطاني دار السلام الإسلامية، الأردن: دار الحامد للنشر، ١٤.

[12] Bradley, Francis R. (2009). Moral Order in a Time of Damnation: The Hikayat Patani in Historiaal Context", J. of SA Asian Studies, Vol. 40, No.2, 267-293.

[13] Chambert-Loir, H. the Sulalat al Salatin, op. cit, 2.

[١٤] قاسم غنيمات، دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، ١٠٤.

[15] Teeuw,A. and Wyatt,D.K. (1970), Hikayat Patani: The Story of Patani, The Hague: Martinus Nijhoff.

[١٦] يذكر أنَّ راجا كونْغ توفيت عام (١٦٨٨م)، ويرى بعض الباحثين أنَّ فترة حكم الملكات بفطاني قد امتدت حتى هذه السَّنة؛ لكن الأرجح أنَّها انتهت بعام (١٦٤٩م)، وحتى لو عاشت الملكة بعد ذلك، فإنَّها كانت قد اعتزلت الحكم، وعاشت في مزرعتها في الفترة الأخيرة من حياتها.

[١٧] بمبا، آدم. حكايات فطاني، مرجع سابق، ٦٦-٦٧.

[18] Charting the shape of early modern, 42.

[١٩] بمبا، آدم. حكايات فطاني، مرجع سابق، ٦٩.

[20] Amirell, Stefan, "The Blessings and Perils of female rule, 312.

[٢١] بمبا، آدم. حكايات فطاني، مرجع سابق، ٨١.

[٢٢] المرجع السابق، ١١١.

[٢٣] المرجع السابق، ٨٣.

[24] Barbara Watson, A History of Malaysia, 75.

[25] Volker Grabwsky, Regions and National Intgration in Thailand, 197.

[٢٦] بمبا، آدم. حكايات فطاني، مرجع سابق، ٧٨.

[27] Gross, Max L. A Muslim archipelago:Islam and Politics in Southeast Asia, 59.

[٢٨] قاسم غنيمات، دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، ١٢٧.

[29] Donald F. Lack, Asian in the Making of Europe, Voiii,1381.

[30] in: Jaqueline, Gender , Islam Nationalism, 57.

[31] Donald F. Lack, Asia in the Making of Europe, Vol.iii, 1381.

[32] Mernissi, The forgotten Queens of Islam, 30.

[33] Marjaana, Jauhola. Post-Tsunami Reconstruction in Indonesia, 43.

[34] Jaqueline Aquino Siapno, Gender, Islam, Nationalism and hte State in Aceh, 55

[35] Milena, Rampoldi, Female Sovereigns in Islamic States, 253.

[36] Marjaana, Jauhola. Post-Tsunami Reconstruction in Indonesia, 43.

[37] Barbara Watson, A History of Malaysia,70.

[38] Hijjas, Mulaika. "Not just Fryers of Bananas and Sweet Potatoes: Literate and Literary Women in hte 19th Century Malay World. Vol.41, No. 1, J. of SA Asian Studies, 2010, 153-172.

[39] Barbara Watson, A History of Malaysia, 70.

[٤٠] بمبا، آدم. حكايات فطاني، مرجع سابق، ٧٤.

[41] Anthony, Reid, Charting the Shape of Early Modern Southeast Asia.

## مراجع الدِّراسة

بمبا، آدم. (٢٠٠٩م). حكايات فطاني: حكاية ملايوية شعبية عن تاريخ سلطنة فطاني دار السلام الإسلامية، الأردن: دار الحامد للنشر.

قاسم غنيمات. (٢٠١٧). دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا دار الخليج للنشر والتوزيع.

Amirell, Stefan. (2011). "The Blessings and Perils of female rule: New perspectives on the reigning queens of Patani", J. of Southeast Asian Studies, Vo.42, No.2, 303-323.

Bahjat M. and Basil Q. Muhammad. "The Significance of hte Arabic-Modelled Malay Novel "Hikayat Faridah Hanum", J. of Arabic Literature, Vo. 41, No.3, 2010, 245-261.

Bradley, Francis R. (2009). Moral Order in a Time of Damnation: The Hikayat Patani in Historiaal Context", J. of SA Asian Studies, Vol. 40, No.2, 267-293.

Gross, Max L. A (nd). Muslim archipelago: Islam and Politics in Southeast Asia, 59.

Henri, Chambert-Loir. (2005). "The Sulalat al-Salatin as a Political Myth", Indonesia, No. 79 (Aprl), 131-160.

Hijjas, Mulaika. "Not just Fryers of Bananas and Sweet Potatoes: Literate and Literary Women in hte 19th Century Malay World. Vol.41, No. 1, J. of SA Asian Studies, 2010, 153-172.

Hijjas, Mulaika. (2018). "The Trials of Rabi'a al-Adawiyyah in hte Malay World", Bijdragen Tot de Taal, Brill, No. 174, 216-243.

Jauhola, M. (2015). Post-tsunami reconstruction in Indonesia. London: Routledge.

Journal of the Malaysian Branch of the Royal Asiatic Society, 1993.

Kennedy, 2002, J. C. "Leadership in Malaysia: Traditional values, international outlook", Academy of Management Executive, Vol.16, No.3.

Lach, D., & Van Kley, E. (1994). Asia in the making of Europe. Chicago u.a.: Univ. of Chicago Press.

Mandeson, Lenore. (1977). "The Shaping of the Kaum Ibu (Women Section) of the United Malays national Organization", Signs, Vol.3, No.1, Autumn, 210-228.

Mernissi, F., & Lakeland, M. (2012). The forgotten queens of Islam. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Rampoldi, M. (2014). Female Sovereigns in Islamic States. Berlin: epubli GmbH.

Reid, A. (2000). Charting the shape of early modern Southeast Asia. Singapore: Institute of Southeast Asian Studies.

Sher Banu A. L. Khan. (2017). Sovereign Women in a Muslim Kingdom: Teh Sultanah of Aceh, Singapore: NUS Press, 1699,.

Siapno, J. (2016). Gender, islam, nationalism and the state in aceh. [Place of publication not identified]: Routledge.

Teeuw,A. and Wyatt,D.K. (1970), Hikayat Patani: The Story of Patani, The Hague: Martinus Nijhoff.

Volker Grabwsky, Regions and National Integration in Thailand, 197.

Wiesner, M. (2011). Gender in history. Chichester, West Sussex, U.K.: Wiley-Blackwell.